@ 76 @ عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) ^ أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن ليتبين الصادق من الكاذب والجازع من الصابر وهذه سنته تعالى في عباده ؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان ولم يحصل معها محنة لحصل الاختلاط الذي هو فساد وحكمة ا تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر | هذه فائدة المحن لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان ولا ردهم عن دينهم فما كان ا ليضيع إيمان المؤمنين فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده (^ بشيء من الخوف) ^ من الأعداء (^ والجوع) ^ أي : بشيء يسير منهما ؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله أو الجوع لهلكوا والمحن تمحص لا تهلك | (^ ونقص من الأموال) ^ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية وغرق وضياع وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة وقطاع الطريق وغير ذلك | (^ والأنفس) ^ أي : ذهاب الأحباب من الأولاد والأقارب والأصحاب ومن أنواع الأمراض في بدن العبد أو بدن من يحبه (^ والثمرات) ^ أي : الحبوب وثمار النخيل والأشجار كلها والخضر ؛ ببرد أو برد أو حرق أو آفة سماوية من جراد ونحوه | فهذه الأمور لا بد أن تقع لأن العليم الخبير أخبر بها فوقعت كما أخبر فإذا وقعت انقسم الناس قسمين : جازعين وصابرين فالجازع حصلت له المصيبتان فوات المحبوب وهو وجود هذه المصيبة وفوات ما هو أعظم منها وهو الأجر بامتثال أمر ا بالصبر ففاز بالخسارة والحرمان ونقص ما معه من الإيمان وفاته الصبر والرضا والشكران وحصل] له [السخط الدال على شدة النقصان | وأما من وفقه ا للصبر عند وجود هذه المصائب فحبس نفسه عن التسخط قولا وفعلا واحتسب أجرها عند ا وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له بل المصيبة تكون نعمة في حقه لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها فقد امتثل أمر ا وفاز بالثواب فلهذا قال تعالى : (^ وبشر الصابرين) ^ أي : بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة والمنحة الجسيمة ثم وصفهم بقوله : (^ الذين إذا أصابتهم مصيبة) ^ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره | (^ قالوا إنا) ^ أي : مملوكون مدبرون تحت أمره وتصريفه فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم فلا اعتراض عليه بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي أرحم بعبده من نفسه فيوجب له ذلك الرضا عن ا والشكر له على تدبيره لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك ومع أننا مملوكون فإنا إليه راجعون يوم المعاد فمجاز كل عامل بعمله فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفرا عنده وإن جزعنا

وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر فكون العبد وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر | ^ (أولئك) ^ الموصوفون بالصبر المذكور (^ عليهم صلوات من ربهم) ^ أي : ثناء وتنويه بحالهم (^ ورحمة) ^ عظيمة ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر (^ وأولئك هم المهتدون) ^ الذين عرفوا الحق وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم وأنهم إليه راجعون وعملوا به وهو هنا صبرهم | ودلت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم فحصل له الذم | من ا والعقوبة والضلال والخسارة فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين وأعظم عناء الجازعين فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها لتخف وتسهل إذا وقعت وبيان ما تقابل به إذا وقعت وهو الصبر وبيان ما يعين على الصبر وما للصابر من الأجر ويعلم حال غير الصابر بضد حال الصابر | وأن هذا الابتلاء والامتحان سنة ا التي قد خلت ولن تجد لسنة ا تبديلا وبيان أنواع المصائب | ^ (158) ^ (^ إن الصفا والمروة من شعائر ا فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن ا شاكر عليم) ^ يخبر تعالى أن الصفا والمروة وهما معروفان (^ من شعائر ا) ^ أي : أعلام دينه الظاهرة التي تعبد ا بها عباده وإذا كانا من شعائر ا فقد أمر ا بتعظيم شعائره فقال (^ ومن يعظم شعائر ا فإنها من تقوى القلوب) ^ فدل مجموع النصين أنهما من شعائر ا وأن تعظيم شعائره من تقوى القلوب | والتقوى واجبة على كل مكلف وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة كما عليه الجمهور ودلت عليه الأحاديث النبوية وفعله النبي صلى ا عليه وسلم وقال : خذوا عني مناسككم | ^ (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) ^ هذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام فنفى تعالى الجناح لدفع هذا الوهم لا لأنه غير لازم | ودل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو